

الحكاية الشعبية في الخيال الاجتماعي الجزائري (دراسة سوسيولوجية)

*Popular tale in the Algerian social
imagination (a sociological study)*

أ.شوشان زهرة - أ.ضيف نجية / جامعة الجزائر

(nadiadif@yahoo.fr / chouchanezahra@yahoo.fr)

ملخص البحث

توضح هذه الدراسة التحليلية السوسيولوجية تأثير موضوعات الحكاية الشعبية بدنامكية ومكونات الخيال (L'imaginaire) الاجتماعي الرمزية، التاريخية، الدينية، والأسطورية... وقد جزئت هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث: (سوسيولوجيا الأدب- الحكاية الشعبية كجزء من أجزاء الخيال الاجتماعي- الخصائص السوسيولوجية لموضوعات الحكاية). معتمدة منهجية وتقنيات المسح الاجتماعي، المقابلة المنظمة (المقننة)، المقابلة غير المنظمة (الحرة)، دراسة الحالة، المقارنة، تحليل المحتوى. مع الإشارة إلى أن هذه الدراسة جرت في إطار نظرية الفعل الاجتماعي.

Abstract

This analytical sociological study demonstrates the influence of the themes of folk tale by the dynamic and historical, religious, and mythical components of social imagination ... The study is divided into three sections: (Sociology of Literature - folk tale as one part of the social imagination parts - sociological characteristics of the tales topics), using the methodology and techniques of the social survey, the organized interview (codified), non-organized interview (free), the case study, comparison, analysis of the content.

Noting that this study took place within the framework of the social action theory.

المبحث الأول - سوسولوجيا الأدب، والسوسولوجيا الأدبية:

تمثل الظاهرة الأدبية مجالا واسعا تتداخل فيه دراسة الأدب مع دراسة المجتمع، ومنه، فدراسة الظاهرة الأدبية أحوج ما تكون إلى الاعتراف بالمقاربات البينية (Approches pluridisciplinaires).

وباعتماد سوسولوجية الفهم لـ: "ماكس فيبر" (Max Weber) يمكن فهم الحكاية الشعبية (والتي تعد جزءا من التراث الأدبي الشفهي) من خلال ربط النص الحكائي مع مختلف التفاعلات العلائقية داخل النسق الاجتماعي ككل.

استنادا على ما سبق، وللوصول إلى التفسير السوسولوجي للظاهرة الأدبية يمكن التمييز بين نظرتين مختلفتين هما: سوسولوجيا الأدب، والسوسولوجية الأدبية:

1- سوسولوجيا الأدب:

هي فرع من فروع علم الاجتماع، تهدف إلى تطبيق مناهج علم الاجتماع على كلّ ما هو غير نص في الظاهرة الأدبية، وأهمّ ممثلي هذا الاتجاه "روبرت اسكاربيت" (Robert Escarpait) وتلاميذه، وما يعرف بمدرسة بوردو؛ يرى "اسكاربيت" «بأن كلّ حدث أدبي يفترض وجود مؤلفين وكتب وقراء، أو بلغة أخرى يقتضي وجود مبدعين آثار وجمهور. وهو يكون ميدان تبادل، يربط بوسيلة معقدة جدًا من الفنّ التكنولوجية والتجارة أفرادا محددين، أو على الأقلّ معروفين الاسم (يقصد الكتاب) إلى جماعة "مجهولة" إلى حدّ ما وإن كانت محدودة (هنا يقصد القراء). وفي مناحي هذا الميدان يطرح وجود أفراد مبدعين مشاكل في التأويل النفسي، والأخلاقي، والفلسفي. كما تطرح الآثار نفسها مشاكل اجتماعية وأسلوبية، ولغوية، وتقنية، أما وجود الجماعة - جمهور - فيطرح مشاكل ذات طابع تاريخي وسياسي واجتماعي، بل واقتصادي أيضا. وبقول آخر هناك على الأقل ثلاث آلاف طريقة لارتقاء الحدث الأدبي ودراسته».⁽¹⁾

إذن فسوسيولوجيا الأدب عند "اسكاربيت" تركز على: المؤلف، الكتاب، الجمهور، كما اهتم أيضا بدراسة تتابع الأجيال الأدبية، ومدى انتشار ما أنتجته الجماعات الأدبية في الأدب الفرنسي، منذ منتصف القرن السادس عشر، وحتى بدايات القرن العشرين. إذن اهتم "اسكاربيت" بالإنتاج، التوزيع، والاستهلاك، ومنه تبقى نظريته تتميز بالقصور رغم أهميتها. فالأدب تعبير عن المجتمع حسب تعبير "دي بونالد" (Deboland).

2- السوسيولوجيا الأدبية:

« وتعتبر نفسها واحدة من مناهج العلوم الأدبية. وهي منهج موجه نحو النص حيث يحاول فهم النص بالأخذ بعين الاعتبار الظواهر الاجتماعية كالبنى الفكرية وأشكال المعرفة. ويشمل الاتجاه بتوسيعته المجال من الأدب المقارن (نلسن) إلى سوسيولوجيا رؤى العالم (دلي، غولدمان) مروراً ببايستيميا (épistémè) "ميشال فوكو" (Michel Foucault)، ومفهوم المحاكاة عند "بيار بورديو" (Pierre Bourdieu)، وأيضا نظرية "ألتوسير" (Althusser)، والصورة المكسورة لبيار ماشيري (Pierre Machery)»⁽²⁾

سنحاول فيما يأتي إيجاز بعض الأطروحات النظرية السابقة:

2-1- التيار الوثائقي: يركز على اعتبار الأدب صورة توثيقية للأحداث التاريخية، ومن أمثلة الدراسات التي تنصبّ في هذا الإطار نذكر: -دراسة "برلسون" والباحثة "سالتر" (Berelson, P, J, Salter) والتي تناولت التمييز العنصري، وقد اهتمت الدراسة بتحليل الأدب المنشور في المجالات واسعة الانتشار، وركزت الدراسة على عينة من القصص المنشورة ما بين 1937 و1947»⁽³⁾.

دراسة "هيلما غرانكفيست" (Helma Grankfeast) عن الزواج في القرى الفلسطينية 1935، ورأت الباحثة كيف أن بعض الأبحاث التي قرأتها في هذا الصدد تهدف إلى التمهيد لقضية اليهود، والدعوة لها عن

طريق الربط بين فلسطين كما صورت في العهد القديم وفلسطين وقت إنجاز الدراسة، وذلك لتضخيم العلاقة بين فلسطين واليهود»⁽⁴⁾.
عموما معظم الدراسات في هذا الصدد تهتم بنقل الأعمال الأدبية للواقع الاجتماعي والتاريخي.

2-2- التيار الجدلي، التاريخي: يرى هذا التيار بأن النص الأدبي يشكل فضاءً جماليا، تتموضع وتتبلور فيه جدليا الرؤى والبنى الفكرية، العلاقات، والإيديولوجيات... ومعظم القضايا التي يتناولها هذا التيار ذات أبعاد فلسفية وتاريخية.

أ- النص ورؤى العالم: يحتل مفهوم رؤية العالم عند "لوسيان غولدمان" (Lucien Goldman) مكانة محورية. وهو المنهج الذي يطلق عليه "البنوية التكوينية"؛ نظرا لأن هذا المنهج يدرس بنى فكرية واجتماعية في ضوء أصولها وتطوراتها. وتتمثل الممارسات البحثية في أعمال "غولدمان" التطبيقية في الكشف عن مدى تجسد "رؤية العالم" الخاصة بجماعة ما- هي دائما عنده كما عند "لوكاتش" طبقة اجتماعية- في النص الأدبي الذي يبده الكاتب المنتمي إلى هذه الجماعة، إذ يرى في هذا الصدد بأن «كلّ عمل إنتاج ثقافي منبثق من الداخل، وهو جزء من الحياة الفكرية للمجتمع، ومن خلالها يعكس الحياة اليومية للمجتمع».⁽⁵⁾

ب- إشكالية النص، الإيديولوجيا: يقول "ألتوسير" في علاقة النص بالإيديولوجيا «إنني لا أدرج الفن الحقيقي في الإيديولوجيات، وبالرغم من أن للفن علاقات في غاية الخصوصية مع الإيديولوجيا... وخصوصية الفن هي منحنا "الإبصار" و "الإدراك"، و "الشعور" بشيء هو الإيديولوجيا التي ولد منها، والتي يسبح فيها، والتي ينفصل عنها بوصفه فنا».⁽⁶⁾

وهناك ارتباط بين أفكار "ألتوسير" وبعض الباحثين مثل "بيار ماشيري" (Pierre Machery).

يرى "بيار ماشيري" بأن « العمل الأدبي لا يُعدُّ إبداعاً، بل هو نتاج لأيديولوجيا. والكاتب إذ ينتج نصاً، فإنه يستفيد من التجارب البشرية العادية، التي هي تجارب إيديولوجية، ويتخذ منها مادة لعمله، ويمنحها شكلاً خاصاً أو بنية خاصة». (7)

ولما كانت الإيديولوجيات بطبيعتها ناقصة دائماً، ومتناقضة، فإن النصّ الأدبي الذي يستخدم الإيديولوجيات هو نص ينتج بعض عناصر الواقع فقط، ولا ينتج كلّ الواقع. ويرى "ماشيري" « أن العمل لا يحتوي على معنى ما يحفيه من خلال منحه شكله المنجز، فأهمية العمل تتأسس على تعددية معانيه. وتفسير العمل يعني التعرف على مبدأ التعدد هذا وتمييزه. والآن يجب نزع الوحدة المفترضة للعمل، والتي لازمت النقد الأدبي بصورة واضحة إلى حدّ ما. إن العمل لا يتم إبداعه عن قصد، بل يتم إنتاجه في ظروف محددة ». (8)

المبحث الثاني- الحكاية الشعبية كجزء من أجزاء الميخال الاجتماعي:

يرى "جلبار ديران" (Gilbert Durand) في مفهوم الميخال الاجتماعي « بأننا كثيراً ما نستخدم كلمات مثل صورة، علامة، أسطورة للتدليل عليه». (9)

إن مفهوم الميخال يجمع بين التصور والخيال ويتجاوزهما المبحث وكما يشير إلى ذلك "جلبار ديران" أيضاً "فإنه من غير اللائق النظر إلى التخيّل على أنه ظاهرة سابقة للفكر العقلي السليم، بل يجب النظر إليه باعتباره عاملاً أساسياً في توازن النفس-اجتماعي" (10).

الميخال باختصار هو مجموع التصورات المشتركة لدى جماعة معينة اتجاه جماعة أخرى، ذلك أنّ كل مجتمع منظم بلغة خاصة، ومحيطه الخاص، ينتج مكانة خاصة به.

يتشكل المخيال من مجموعة من العناصر هي: المؤشرات، الرموز، والأدلة... ويتكون من مجموعة من الأجزاء هي: الأيديولوجيا، الخرافة، الأسطورة، والحكاية...

حياة الأفراد الاجتماعية - منذ القدم - مليئة بالأحداث الواقعية والرمزية والخرافية، والتي تتناقلها الأجيال جيلا بعد جيل، بتداولية مختلفة، حسب الخصوصية الثقافية للأفراد الاجتماعيين، والتي عبرت عنها الحكاية الشعبية، وهذه الأخيرة تعني « قياس واقعة من الوقائع الحقيقية أو الخيالية دون الالتزام بقواعد الفن القصصي، وغالبا ما تتضمن الحكاية، النوادر، الخرافات والأساطير، وتنتشر على أفواه الناس». (11)

إذن الحكاية تعبر عن الأزمنة الغابرة، فهي (أي الحكاية) مأخوذة من الاحتياطات التاريخي للمجتمعات، لأنها موعلة في القدم، وقد ترجع بنا إلى عصور تسبق كلّ تاريخ مدون، كما أنها تعبر عن معتقدات وأحلام وأفكار المجتمعات الأولى، لأنها تعتبر شاهدا عن المجتمع الذي ولدت فيه (أي مجتمع النشأة). إذ الحكاية لا تعبر فقط عن المجتمع الذي تعيش فيه، وهذا ما يبين تعدد المرجعيات التي تغذي محتوى الحكاية كالرمزية، التاريخية، السحرية، الدينية...

1- الحكاية: المرجعية.

هناك مرجعيات مختلفة تغذي محتوى الحكاية، كالمرجعيات الرمزية، التاريخية، السحرية، الدينية...

1-1- الرموز الاجتماعية: يعرف "غي روشيه" الرمز بأنه «شيء ما يحل محل شيء آخر ويستدعيه. إن تمثالا معيناً يذكر رمزيا بشخصية أو حدث أو فكرة، ويضمن لهم بذلك وجودا وفعلا مستمرين. إن أي كلمة تحل محل شيء، تثير ذكراه دون أن يكون وجود الشيء المادي (الفيزيقي) ضروريا». (12)

تؤدي الرموز وظائف اجتماعية متعددة ومختلفة، فمثلا تترجم شبكة العلاقات الاجتماعية رموزا معينة حسب انتماءات الفرد الاجتماعية والعائلية والطبقية؛ مثل اللباس، الأكل، اللغة، السياحة، الذوق الفني... ومنه انتماءات الفرد تؤثر أكثر في مجموعة التصورات والمفاهيم التي تميزه عن الآخرين» ومع كون المفاهيم العقلية شخصية وتخص كل واحد على حدا، غير أنها نتاج اجتماعي بالأساس وبالنسبة إلى عدد كبير من الناس⁽¹³⁾.

يفهم من هذا بأن كل مجموعة اجتماعية تتميز عن غيرها باستعمالها لرموز خاصة بها» إن الرّمز ذاته أو الكلمة ذاتها لا يشيران إلى جوانب الشيء نفسه بالنسبة إلى أشخاص مختلفين⁽¹⁴⁾.

تمثل حكاية "ودعة مفرقة خاوتها السبعة" نموذجاً للعلاقات الاجتماعية، التي توضح اختلاف الرموز حسب انتماءات الأفراد، فحينما أوهمت الخادمة بأنها هي أختهم الحقيقية لجأوا إلى الشيخ الحكيم، وهذا الأخير طلب منهم شراء الفول الجاف و"البوزلوف"، الحناء، المرأة، والمشط... ثم يقدمون ما اشتروا إلى "ودعة" والخادمة لمعرفة هوية كل منهما. وحينما قدم الإخوة المشتريات، أسرع الخادمة وأخذت الفول و"البوزلوف"، في حين أخذت "ودعة" ابنة السلطان الحناء، المشط، والمرأة...

تمثل الحناء، المشط، والمرأة رموزاً للجمال والأناقة، بينما يمثل الفول و"البوزلوف" رمزان للجوع والأكل.

نستنتج من المثال المذكور بأن لكل مجموعة اجتماعية رموزها الخاصة، والتي توضح التباين الاجتماعي بين الأفراد.

1-2- الرموز التاريخية: التاريخ هو سلسلة الأحداث والبطولات،

والتي تخزن في الذاكرة الجمعية للأفراد. وبعد مرور، وقصد تفعيل التضامن الاجتماعي للجماعات يلجأ الحاكي إلى تنشيط الذاكرة الجمعية، بتمثيل وتجديد بطولات الماضي في أحداث الحكاية.

ومن الرموز التاريخية التي ورد ذكرها في الحكاية شخصية "هارون الرشيد" هذه الأخيرة التي برزت في حكاية "لقرع بوكريشة، هارون الرشيد".

"هارون الرشيد" هو «أمير المؤمنين ابن المهدي بن المنصور بن عبدالله القرشي الهاشي»⁽¹⁵⁾، تولى الخلافة وعمره 19 عاما ببغداد سنة 170هـ، وذلك بعد موت أخيه "موسى الهادي".

عرف "هارون الرشيد" بالشجاعة، إذ كان رجل حرب وغزو، كما عرف بالتدين، فقد كان يصلي كل يوم مائة ركعة، وكان كثير العطاء، إذ كان يتصدق من ماله بألف درهم كل يوم...

نستخلص مما سبق ذكره بأن "هارون الرشيد" هو رمز للشجاعة والتدين والعطاء. وهذه الرموز جسدتها حكاية "لقرع بوكريشة، هارون الرشيد" والتي تنص بأن بطل الحكاية رحل ليمضي سبع سنوات من الشقاء، وحين وصل إلى إحدى البلدان وجد فتاة مقيدة أمام "اللفعة" ذات السبعة رؤوس كي تأكلها مقابل إعطاء الأهالي الماء. ولكن، "لقرع بوكريشة" فك قيود الفتاة وقتل "اللفعة" وحقق ما لم يستطع أحد تحقيقه من قبل، بعد هذا اتجه إلى المسجد (رمز العبادة)، وبقي فيه إلى أن استدعاه سلطان البلاد ليزوجه ابنته. وبعد ذلك قام السلطان بختان أولاده، فأحضر له "لقرع بوكريشة، هارون الرشيد" مقدارا هائلا من المال والأقمشة والحريير.

نستنتج من حكاية "لقرع بوكريشة، هارون الرشيد" بأن شخصية "هارون الرشيد" تمثل رموز الشجاعة والتدين والعطاء، وهذا يعد استمرارا لشخصية "هارون الرشيد" الحقيقية في المخيال الإسلامي.

1-3- الرموز السحرية: أثبتت دراسات "فرايزر" (Frazer) "موس" (Mauss) و"تايلور" (Taylor) بأن المجتمعات القديمة عرفت السحر، ولم تكن تفرق بين السحر والدين.

السحر عبارة عن تمويه، حيث يوهم الساحر المشاهد بأنه يقوم بممارسات تفوق القدرة البشرية، وهذا باستخدامه لحركات، تائم، تعويذات، وتعزيمات...

فرّق "ابن خلدون" بين السحر والطلاسم، ويرى في هذا الصدد بأنهما « علوم بكيفية استعدادات تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر، إما بغير معين، أو بمعين من الأمور السماوية، وهذا الأول هو السحر، والثاني هو الطلسمات».⁽¹⁶⁾

سأقت الحكاية الشعبية أمثلة عن ممارسة السحر؛ مثل حكاية "لونجة بنت الغول" فحينما رفضت "لونجة" الأكل الذي أحضرته الخادمة، عزمت على يديها فأخرجت ألدّ الأطعمة، كما أنها عزمت أيضا على الجرتين لتجعلهما دائمتا التدفق.

وفي حكاية "سماع الندى وأحمد الهمّ" نموذج آخر للسحر، فبعدما فقأ "أحمد الهمّ" عيني أخيه "سماع الندى" مقابل إعطائه الأكل، وجد سحلية تضع أوراق عشبة نادرة في عيني أختها لتعيد لها بصرها، فاقتلع العشبة ووضعها في عيني أخيه، فأعادت له بصره...

نستنتج من الحكايتين السابقتين بأنّ الحكاية تحتوي رموزا سحرية، تعبر عن بعض المعتقدات الاجتماعية في الميثال الاجتماعي، مثل الاعتقاد في قوة بعض الأشياء، الأرقام، الألوان، الأشخاص...

1-4- الرموز الدينية: الدين هو الاعتقاد بوجود قوة أو قوى خفية أو ملموسة، يتقرب إليها الأفراد بواسطة الطقوس والشعائر، وقد تتجسد تلك القوى في رموز كالطوطم، الضريح، والمقام...وهي تنتقل وترسخ من جيل إلى جيل.

في الحكاية الشعبية كثيرا ما يلجأ البطل أمام عجزه إلى قوى خارجية لمساعدته، ففي حكاية "حبق الزين والأميرة ختّ الشمس" ساعدت الشمس البطل على الدخول إلى الغابة السحرية، لإحضار ما طلبته أمّه المزعومة (الغولة) كإحضار التفاح، والماء العجيب.

وفي حكاية "الحمامة" مثال عن قدرة القوى الخارجية، إذ حينما اشتد المخاض بالمرأة نزلت حمامات من السماء وتحولت إلى نساء، وساعدت المرأة على الولادة، ثم منحت بعض المعجزات للمولودة، كسقوط اللآليء أثناء بكائها، وظهور البرق بين رجليها أثناء مشيها... نستنتج مما سبق بأن الحكاية الشعبية نقلت بعض المعتقدات الدينية الأسطورية الأولى للمجتمعات، والتي ما زالت راسخة إلى يومنا هذا.

المبحث الثالث- الخصائص السوسولوجية لموضوعات الحكاية:

رغم تنوع مواضيع الحكاية الشعبية سواء أكانت واقعة أم خرافية، فهي ترمي إلى التعبير عن ثنائية الخير والشر، وعن الصراع بينهما، وانتصار الخير في نهاية الحكاية، رغم أن الحياة الاجتماعية ليست دائما كذلك.

تطرح الحكاية الشعبية مشكلة تصنيف، وهذا تؤكدته المقارنة بين تصنيفات كل من "أ. رن" (A. Arne)، "أ. أرن و س. تومسون" (A. Arne)، "S. Thompson et"، "ر.س. بوكس" (R.S. boggs)، "و.ايبهارارد. بورتاف"، (W.Eberhard et R.Boratav)، "م. ل. تيناز" (M.L.Tenze) واستنادا إلى:

- الوظائف الاجتماعية التي تقوم بها الحكاية في المجتمع.
- تحليل المدونة المستقاة من منطقة "بومرداس" والتي عددها 94 حكاية.

يمكن تصنيف موضوعات الحكايات المأخوذة من ميدان البحث إلى: ترفيحية، تعبيرية، علاجية، تربوية، تثقيفية...

وظائف موضوعات الحكاية:

1-1- الوظيفة الترفيحية: تتميز الحكاية بالسرورة والديناميكية، إذ تتفاعل لتنتج خطابات اجتماعية غير مقننة، وتختلف عن الواقع الاجتماعي، ولذا فهي تقوم بدور النفس الاجتماعي، الذي يقلل من ضغوط الواقع.

من الحكايات التي ترجمت هذه الوظيفة الحكايات المرحية أو الفكاهية مثل: حكايات "امقيدش والغولة"، "الذيب والقنفود"، "المعزة"، "القدرة تاكل اللحم"... فمثلا في حكاية "الذيب والقنفود" هناك محاولة مستمرة للزرع والغرس، وفي كل مرة يخطئ في اختيار المنتج، فحينما غرسا اللفت، اختار الذئب ما نبت فوق التربة، لأنه أعجب بأوراق اللفت أما القنفذ فقد أخذ ما تحت التربة... عموما صورت هذه الحكاية الذئب بأنه رمز للغباء، على عكس ما تحتزنه الذاكرة الشعبية من مكر وخبث الذئب.

أما حكاية "القدرة تاكل اللحم" فتصور لنا أسرة فقيرة تشتهي الزوجة فيها أكل اللحم، وكان كلما يحضر الزوج اللحم تدعي بأن القدر تأكله، إلى أن جاء أحد أصدقائه مدعيا العمى فشاهدها تحبؤه، فكشف أمرها.

نستخلص مما سبق بأن الحكاية المرحية أو الفكاهية رغم أنها تؤدي بصاحبها إلى الضحك غير أنها تحمل عبرا وأحكاما، تساعد على تحقيق المجتمع السليم.

1-2- الوظيفة التعبيرية: لتوضيح الجانب التعبيري ندرج فكرة التناص (*Intertextualité*)، فالحاكي لا يعبر عن حكاية ابتدعها من العدم، بل هي وليدة تكوينه الفكري، التاريخي، والاعتقادي.

من الحكايات التي ترجمت هذه الوظيفة تدرج حكايات سير الأولياء والصالحين، مثل: "سيدي بومرداسي" "سيدي بلمو"، "سيدي أحمد بلعباس"، "سيدي بوضرواية" ... والحكايات الدينية مثل: حكاية "سيدنا يوسف"، "سيدنا إبراهيم" ... والحكايات التاريخية كسيرة بني هلال.

ففي حكايات السير الهلالية مثلا تعبير عن واقع تاريخي اجتماعي، يترجم حقبة تاريخية ماضية، ولكن أحداثها لا تزال تُحكى؛ كسير البطولات والمغازي، والتي تدفع بحاكيها أو سامعها إلى الشعور بالفخر والاعتزاز لانتمائه، لمثل شخوص السيرة الهلالية "أبي زيد الهلالي"، "ذياب بن غانم" و"الجازية"...

1-3- الوظيفة العلاجية: تؤدي الحكاية دوراً هاماً في التعبير عن الجوانب غير السوية والمرضية في المجتمع، وبهذا تعمل على خلق التوازن الاجتماعي.

كما تعالج الحكاية واقع الفرد الاجتماعي؛ كضرورة المحافظة على العلاقات الأسرية مثل حكاية "بقرة ليتامي"، والمحافظة على علاقات الأخوة، مثل حكايات: "الخت وخوها"، "أحمد البغل"، "ودعة وخاوتها السبعة"، و"زوج خاوة"...

المتصفح لهذه الحكايات وحكايات أخرى تصبّ في نفس الغرض يجد أنها لا تكتفي بسرد الأحداث فقط، بل توضح الجانب المرضي منها، وكيف أن استفحاله يؤدي إلى تفكيك الروابط الاجتماعية، وبالتالي انتشار "الأنيميا" على حد تعبير "دور كايم".

1-4- الوظيفة التربوية: يتلقى الفرد التنشئة الاجتماعية بصفة واعية أو غير واعية، من مرحلة الطفولة المبكرة إلى وفاته، ويكتسب من خلالها أخلاقيات، عادات، وصفات ثقافة الوسط الاجتماعي الذي يولد ويعيش فيه.

وتعد التربية جزءاً هاماً من التنشئة الاجتماعية، والتي تمكن الفرد من أن يحتل مكانته في المجتمع.

ومن الحكايات التي ركزت على الجانب التربوي نذكر على سبيل المثال: "الراجل اللي لاح يماه"، "عنقود العنب"، "بنات الأصول"، "الزمام يزم فمو"... وهي حكايات ركزت على الجانب غير السوي لبعض السلوكات فمثلاً حكاية "الراجل اللي لاح يماه" توضح كيف أن الزوجة التي تكره حاتها دبّرت لها المكائد حتى رماها ابنها في الغابة، ولكنه ندم بعد ذلك ندماً شديداً.

أما حكاية "عنقود العنب" فتعبر عن غدر صديق لصديقه حيث ذبحه، وعاد بعد عام إلى مكان الجريمة، فوجد عنقود عنب ضخم، أخذه إلى السلطان. ولكن، حين وصل تحول العنقود إلى رأس الصديق المغدور، فاكتشف السلطان السرّ، وأمر بإعدام الصديق الغادر.

ونشير في الأخير إلى أن هدف الحكايات التربوية هو معالجة الأفعال غير السوية في المجتمع، وتبين نتائجها.

1-5- الوظيفة التثقيفية: يعتبر الفرد اجتماعيا بطبعه، واجتماعيته هذه لا تتأثّر إلا إذا تشبع بثقافة المجتمع الذي يعيش فيه. عرف "تايلور" (Taylor) الثقافة بأنها «ذلك الكلّ المركب، الذي يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف، وكل القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان، من حيث هو عضو في المجتمع».⁽¹⁷⁾

يمكننا أن نستخلص بعض عناصر الثقافة من الحكايات الشعبية، مثلا حكاية "بريول لعمى" تترجم فكرة العقيدة، وخاصة الإيمان بالقضاء والقدر، "فبريول لعمى" وهي حسب المعتقد الشعبي حشرة خضراء عمياء لا تسعى للحصول على طعامها، وإنما ترزق به تلقائيا، وأثرت في شخصية بطل الحكاية، مما جعله يرفض العمل، وكلما تطلب منه زوجته الذهاب للعمل، يرفض ذلك معتقدا بأن الله - تعالى - يرزقه مثلما يرزق "بريول لعمى" واستمرت أحداث الحكاية على هذا المنوال إلى أن رزق البطل بكنز من الذهب، لأنه كان يؤمن بالقضاء والقدر، وأن الله - تعالى - يرزق من يشاء بغير حساب.

نستنتج مما سبق ذكره بأن وظائف موضوعات الحكاية تتعدد، غير أن هذه الوظائف حتى وإن بدت متباينة فقد تتداخل وظيفتين أو أكثر في آن واحد، فمثلا قد يصعب الفصل ما بين الوظيفة العلاجية والتربوية مثلا*...

الهوامش والمراجع المعتمدة

(1) روبرت اسكاريبيت: سوسيولوجيا الأدب، تر: أنطوان عرسوني (أمال)، منشورات عويدات، بيروت، 1983، ط2، ص 26.

(2) Leenhardt (Jacques): Sociologie de la littérature, édition de l'université de Bruxelles, Bruxelles, 2006, p37.

- (3) Berelson (Bernard), Salter (Patricia J,R): «Majority and minority american's» In:Magazin fiction, public opinon, quaritery volumes,summer,1946,pp168-190.
- (4) إبراهيم (نبيلة): الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتب القاهرة الحديثة، القاهرة، دت، ص180.
- (5) شحيد(جمال): في البنيوية التركيبية، دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار ابن رشد، سوريا، 1982، ص ص115-117 بتصرف.
- (6) ألتوسير(لويس): « رسالتان في معرفة الفن » تر: غزول جبوري(فريال) في: ألف، العدد10، 1990، ص 160.
- (7) Machery(Pierre): Pour une théorie de la production littéraire, Maspero, Paris, 1971, p51.
- (8) ibid, p62
- (9) Durand(Gilbert):L'imaginaire symbolique, p.u.f, Paris, 1976, p07.
- (10) ibid pp84-85.
- (11) مريدن(عزيزة): القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ط2، ص112.
- (12) روشيه(غي): مدخل إلى علم الاجتماع العام، الفعل الاجتماعي، تر: د.ندشلي (مصطفى)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983، ص107.
- (13) المرجع نفسه، ص110.
- (14) المرجع نفسه، ص113.
- (15) ابن كثير القرشي(اسماعيل بن عمر): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، دت، ج10، ص 213.
- (16) ابن خلدون(عبد الرحمان بن محمد): مقدمة ابن خلدون، دار صادر، بيروت، 2000، ص382.
- (17) السويدي (محمد): مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1996، ص 51.
- * لمزيد من التفاصيل راجع:
- شوشان زهرة: الحكاية في المخيال الاجتماعي الجزائري، دراسة سوسيولوجية، رسالة ماجستير إشراف:د/ بوزيدة عبد الرحمان، 2007-2026، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر 02 (غير منشور).

قائمة المراجع باللغة العربية:

أ- الكتب:

- 1-السويدي (محمد): مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس1996..
- 2-إبراهيم (نبيلة): الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مكتب القاهرة الحديثة، القاهرة، د.ت.
- 3-ابن كثير القرشي(اسماعيل بن عمر): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، دت، ج10
- 4-ابن خلدون(عبد الرحمن بن محمد): مقدمة ابن خلدون، دار صادر، بيروت، 2000.
- 5-شحيد(جمال): في البنيوية التركيبية، دراسة في منهج لوسيان غولدمان، دار ابن رشد، سوريا، 1982.
- 6-روبرت اسكارييت: سوسيولوجيا الأدب، تر: أنطوان عرسوني(أمال)، منشورات عويدات، بيروت، 1983، ط2 .
- 7-روشييه(غي): مدخل إلى علم الاجتماع العام، الفعل الاجتماعي، تر: د.ندشلي (مصطفى)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983.
- 8-مريدن(عزيزة): القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ط2.

ب- الدراسات:

- 9-شوشان زهرة: الحكاية في الميخال الاجتماعي الجزائري، دراسة سوسيولوجية، رسالة ماجستير، إشراف: د.بوزيدة عبد الرحمن، 2007-2026، قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر 02 (غير منشور).

ت-المجلات:

- 10-ألتوسير(لويس): «رسالتان في معرفة الفن» تر: غزول جبوري (فريال) في : ألف، العدد10، 1990.

باللغة الفرنسية:

A- Livres:

- 12- Durand(Gilbert):L'imaginaire symbolique, p.u.f, Paris, 1976.
- 13- Machery(Pierre): Pour une théorie de la production littéraire, Maspero, Paris, 1971.
- 14- Leenhardt (Jacques): Sociologie de la littérature, édition de l'université de Bruxelles, Bruxelles, 2006.

B- Reveux:

- 15- Berelson (Bernard), Salter (Patricia J,R):«Majority and minority american's» In: Magazin fiction, public opinon, quaritery volumes, summer, 1946.